المحاضرة الثالثة: حضارة مصر الفرعونية: الكتابة، الأدب والفنون

تمهيد:

لقد مر على التاريخ حضارات إنسانية كانت لها بصمتها، وقد تميزت كل حضارة بميزات ثقافية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية، وقد وجدت في العالم المعالم الأثرية العملاقة التي حيرت العلماء بطريقة بناءها، والغاية من بنائها البناء، منها الجسور المعلقة والأهرامات. فما هي الحضارة التي قامت ببناء هذه الأهرامات؟ وما سر بناءها؟

أولا. نبذة مختصرة عن هذه الحضارة:

تعتبر الحضارة المصرية إحدى أقدم الحضارات في العالم؛ إذ يرجع تاريخها إلى آلاف السنوات سنة الميلاد، وذلك عندما قام الملك مينا بتوحيد مصر العليا والسفلى، وقد تركزت هذه الحضارة في منطقة واد النيل ، وضمّت العديد من الممالك المستقرّة، إلى أن بلغت ذروة الحضارة في العهد الحديث للدولة، وقد انتهى حكم الفراعنة بسبب غزو الإمبراطوريّة الرومانية، ممّا جعلها إحدى المقاطعات الرومانية، **وقد استمر نجاحها من خلال قدرتها على التكيّف مع ظروف الطبيعية بوادي النيل، وتتمثّل هذه القدرة على التكيّف في التنبؤ بالفيضانات، والقدرة على السيطرة على الأضرار التي تصيب المحاصيل الزراعية.**

كما تميزت هذه الحضارة بوضعها عدة مشاريع زراعية، وابتكارها لنظام الكتابة، بالإضافة إلى الاهتمام بالقوى العسكرية للدفاع عن الفراعنة، وتأكيد هيمنتهم، وقد كان للمصريين القدماء العديد من الإنجازات أهمها بناء الأهرامات والمعابد، وابتكار أنظمة لريّ المحاصيل الزراعيّة، وابتكار نظام رياضيات يُستخدم في الطب، وهم أول بنى السُفن، وأول من كتب معاهدة للسلام مع غيرهم. وهي حضارة رائدة في الفنون والعمارة، وأول من عرف مبادئ الكتابة الهيروغليفية، وأول دولة تكتب تاريخها، وقد احتضنت العديد من الأنبياء؛ مثل نبي الله إبراهيم ʊ، وسيدنا يوسف ʊ، والسيدة مريم العذراء، والمسيح ʊ، وتنوعت الحضارات في مصر، منها الحضارة الإغريقية، والفرعونية، والرومانية، والإسلامية.

وهي تحمل الكثير من الأحداث والملوك والحكام، وقد جذبت إليها أنظار علماء آثار ومؤرخين وكمتشفين الآثار وغيرهم، وهي من الحضارات الغامضة التي تحتاج دراستها إلى تمعن لمعرفة تسلسل الحكام والملوك والأسر الفرعونية.

ثانيا..الموقع الجغرافي:

تأثّرت الحضارات على مرّ العصور بالطبيعة الجغرافية، وبمصادر الماء، وطبيعة الأرض، حيث إنّ الموقع الجغرافي هو من أهم القواعد التي تساعد على فهم الحضارات وخصائصها، بما فيها حضارة مصر القديمة، حيث أثّر الموقع الجغرافي لمصر على تاريخها القديم.

تقع مصر في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، وهي حلقة وصل بين القارات الثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر.وترتبط بفلسطين عبر صحراء سيناء، وانقسمت مصر إلى قسمين: **مصر العُليا**:التي تتكون من وادٍ ممتد من شلالات أسوان، وحتى رأس الدلتا. **مصر السُفلى**: وهي أرض منبسطة، تحتوي على بعض فروع نهر النيل، **والملك (مينا) أو (أرمر) وحد مصر العليا ومصر السفلى واتخذ (ممفيس) عاصمة له. وكان هذا إيذاناً لبداية حضارة مصر القديمة**

ساهمت عزلة مصر الجغرافية في حمايتها من الأخطار والهجمات التي طالت الدول الآسيوية. كما ساعد موقعها على العمل في التجارة، من خلال الاستعانة بالسفن من أجل تبادل القمح، والمصوغات، والأواني المصنوعة من الخزف، والملابس، أو الصفيح، واستخدام طريق صحراء سيناء لنقل القوافل من مصر إلى سوريا وفلسطين.

ثالثا. بعض مظاهر الحضارة في مصر الفرعونية"

أحرز المصريون القدماء قدرًا مهمًا من المعارف في حقول الأدب والفن الفلك والهندسة والرياضيات والطبّ، وبعض ما توصّلوا إليه ما زال معتمدًا في يومنا هذا. وقد أبدع المصريون في الأعمال الهندسية،

والجراحة، وأنشأوا التقويم الشمسي (365 يوم) عام 2772 ق.م الذي يعد إنجازًا علميًا رائعًا، وأفضل إرث حضاري أمدّت به العالم المتمدن.

ومن مظاهر هذه الحضارة:

أ–الكتابة: كان المصريون حريصين على تسجيل وتدوين تاريخهم والأحداث التي صنعوها، وقد كانت مصر أول دولة في العالم القديم عرفت مبادئ الكتابة وابتدعت الحروف والعلامات الهيروغليفية وبهذه الخطوة الحضارية انتقلت من عصور ما قبل التاريخ؛ وأصبحت أول دولة في العالم لها تاريخ مكتوب.

واشتملت كتابتهم في بادئ الأمر على ستمائة علامة، كثير منها يمثل مقاطع كاملة. ثم طوّروا كتاباتهم فأصبحت لديهم حروف هجائية حقيقية، وبلغ عدد هذه الحروف أربعة وعشرين حرفًا، وسميت بالحروف الهيروغليفية، أي الحروف المقدّسة، وهي أقدم الحروف الهجائية التي عرفها البشر. وقد طوّر الفينيقيون، بعد المصريين، أبجدية خاصة بهم (22 حرفًا) وما لبثت أن انتشرت في أرجاء العالم.

أنواع الكتابة:

1–الهيروغليفية: ظهرت الكتابة الهيروغليفية في 3100ق.م، وتُمثّل رموزاً محفورة ومقدّسة تحمِل أقوال الآلهة وتُعبِّر عن المعنى المنطوق وعن الرموز والأصوات بالرّسم، وظنّ المصريون أنّ مصدر هذه اللغة إلهي وليس من صنع البشر، وهي كلمة يونانيّة مُركبة من مقطعين هما (**هيروس**) ومعناها مُقدّس، و(**غليفو**) ومعناها الخط؛ فتصبح بمعناها الكامل الخط المقدّس، حافظت هذا النوع من الكتابة على استعمالها حتّى أواخر القرن الرّابع الميلادي، مع تغيُّرات في بعض مصطلحاتها تبعاً لتطور الزّمن، وتوقف استعمالها عندما أغلق الإمبراطور ثيودس المعابد وحرّم عبادة الأوثان.

وقد سادت فترة طوية من الزمن من بداية العصور الفرعونية وحتى نهاية الدولة الفرعونية بعد الدولة الحديثة، ثم بعد ذلك بدأت بالانقراض، وتكتب من اليمين لليسار، أو من اليسار لليمين، أفقي أو رأسي، وهي عبارة عن إشارات تشمل ما في الطبيعة من إنسان وحيوان ونبات وماء وشمس وغيرها من الظواهر

الطبيعية. وكان تدوين هذه الكتابة يستغرق وقتا طويلا (**فكانت تدوّن كل علامة مع الاهتمام الفائق بتفاصيل الرسم؛ فالطائر على سبيل المثال لا بشار إليه بخطوطه الجانبية وحسب بل بشتى ملامحه الداخلية أيضا مع توضيح الأجنحة والعينين والمخالب**)

وكتب بها الكهنة المصريين النصوص الدينية جميعها وغيرها على البرديات[1] وجدران المعابد والأهرامات والخشب والأحجار والمعادن ، فقد كانت كتابة مقدسة وكان تعلمها صعبا، ويحظى متعلمها، ويسمى الكاتب، بمنزلة عالية ورفيعة عند المصريين، ويمكنّه ذلك من أن يرتقي في المناصب ويصبح حاكم إقليم أو وزيرا.

2–الهيراطيقية: تم اختراع هذه الكتابة نظرا لصعوبة الهيروغليفية وصعوبة تعلمها واستخدامها في الشئون العامة؛ خاصة على الأوراق أو القرطاس، وهي مشتقة من الهيروغليفية مع تبسيطها بعض الشيء، سميت أيضا بالخط الكهنوتي؛ أي خط رجال الدين؛ لأن الكهنة ورجال الدين هم من استخدموا تلك الكتابة كثيرا في كافة أعمالهم، وتم الكتابة بها على الخزف والخشب[2]، كما أن معظم الكتابات الأدبية للمصريين سجلت بالهيراطيقية.

3–الديموطيقية: سادت بعد انتهاء الدولة الحديثة في عصر الأخير، لسهولتها عن الهيروغليفية والهيراطيقية، اشتُق اسمها من الكلمة اليونانية "ديموس" Demos وتعني الشعب والنسبة منها "ديموتيكوس" وتعني "الشعبي" لاستعمالها في المكاتبات الشعبية، وهو خط مبسط من الهيراطيقي، بدأ استخدامه في القرن الثامن قبل الميلاد، واستخدم بصورة كبيرة في تسجيل المعاملات المدنية؛ مثل العقود التجارية والمراسيم الحكومية. والصكوك

[1]–**البَرْدِيُّ:** نَبات مائي من الفصيلة السعدية تسمو ساقه الهوائية إلى نحو متر أو أكثر، ينمو بكثرة في مِنْطقة المستنْقَعات بأَعالي النيل، وصَنَع منه المصريُّون القدماء ورق **البَرْدِي** المعروف وعِلْم **البَرْدِيّ/**عِلْم **البَرْدِيّات** علم يُعنى بالبرديّ واستعمالاته خاصّة في مجال الكتابة عند قدماء المصريين واليونان والعرب وغيرهم

[2]– إسهامات الأقباط في الحضارة الإسلامية، عبد صموئيل فارس، ص:12

وسميت أيضا بالعامية نظرا لانتشارها بين كافة الشعب، وكانت عبارة عن لغتهم الدارجة ولكنها مكتوبة.

استمر المصريون استعمال هذا لخطوط الثلاثة حتى القرن الثاني للميلاد في مدرسة الإسكندرية

4– القبطية: وهو آخر خطوط اللغة المصرية ظهورًا وكلمة قبطي المشتقة من اليونانية (أيجوبتس) وتعني "مصري" ولم تظهر هذه الكتابة إلا بعد تعرّف المصريين على اللغة اليونانية مع دخول الإغريق للأراضي المصرية. فهي عبارة عن الكتابة المصرية القديمة المكتوبة بالحروف الإغريقية، وسجل بها رجال الدين المسيحيون كافة كتاباتهم ونصوصهم الدينية.